المحاضرة الرابعة: الأبطال والتاريخ (دور الأبطال في صناعة الحدث التاريخي _ فيكو_)

التفسير البطولي للتاريخ

راجت أفكار التفسير الذي يجع حركة التاريخ إلى أعمال الزعماء والقادة (الأبطال) منذ أمد بعيد موغل في القدم، ويبدو أن رواجها وشيوعها يرجع إلى ارتباط التاريخ في أذهان الناس بشخصيات سياسية وعسكرية لا سيما أن كتابة التاريخ قطعت مراحل طويلة في تاريخ البشرية تمتد لقرون طويلة وهي تركز على تدوين أعمال هؤلاء. كما يبدو أن هذه القاعدة وتلك الجذور كانت منطلقا لتصورات فكرية وفلسفية ذات علاقة بتفسير حركة التاريخ. صاغت منها نظرية عرفت بـ "نظرية الرجل العظيم" The Great Man Theory التي يمكن القول أن المؤرخ اليوناني ثوكيوديدس قد أرسى أساسها بتقديره البالغ لدور الفرد في تحريك حوادث لتاريخ وهي نظرية تشيد بدور البطل في التاريخ، وتعده عاملا أساسيا في فاعلية وتحريك أحداثه وتوجيه خطوط مسيرته فهو عامل وحيد تتراجع معه كل المؤثرات والعوامل الأخرى مادية وميتافيزقية.

فالتاريخ العام من وجهة نظر هذه يسيره الأبطال من الزعماء والقادة وقد تتعطل حركة بعض عصور التاريخ وتضمحل نتيجة لافتقادها للأبطال الذين لا تتحرك بغيابهم عجلة التاريخ.

وفي المحصلة كل ما تقدم فإن حتمية التفسير البطولي للتاريخ تقوم على الاختيار الالهي للبطل وتأديته للرسالة السماوية تعبيرا عن "العناية الالهية" فضلا عنا يمكن أن يتحلى به البطل من شجاعة وقدرات ذاتية تؤهله للقيام بدوره المرسوم على مدى العصور.

هناك أمثلة كثيرة وحالات كثيرة يصلح أن تكون أمثلة في هذا المجال لا سيما دور القادة والزعماء والسياسيين في الأحداث الكبرى كفتح القسطنطينية عاصمة الدولة الرومانية الشرقية الذي ترتب عليه سقوط هذه الدولة وارتباطه بالسلطان العثماني محمد الثاني.

وكظهور نابليون وهتلز في التاريخ الأروبي وتأثيراته على المانيا وفرنسا وبل على أوضاع أروبا والعالم أيضا.

التفسير المثالي للتاريخ

المثالي كل ما هو ينسب إلى "الفكرة" والفكرة تقابل في معناها الواقع المادي الخارجي، ومن ثم فإن المثالي هو كل أمر يوجد في العقل أوالذهن ولا يوجد على أرض الواقع .

فالمثالية تحاول تفسير ظواهر الطبيعة وكل شيء فيها بإرجاعها إلى خصائص روحية فحسب، بينما تسعى المادية نحو إظهار إتجاه مخالف تماما يعطي المادة دورا رئيسيا في عملية التفسير هذه.

فحتى الظواهر النفسية ترجع لدى الفلاسفة الماديين إلى خواص المادة وطريقة انتظامها في جسم الانسان.

وبناء على ذلك يمكننا القول أن التفسير المثالي للتاريخ يعني التفسير الذي يعزو حركة التاريخ إلى دوافع مادية واقعية كالدوافع الاقتصادية والطبيعية (الجغرافية) والفردية (البطولية) والاجتماعية (البشرية) بل يفسر حركة التاريخ بدوافع مفالية، أو ميتافيزقية ليس لها وجود مادي أو واقع خارج الذهن والفكر.

كان للمثالية وجود قبل أن تتمتد مباحثها في القرن 19م لتشمل موضوع فلسفة التاريخ وكانت تلك المباحث تتعلق بنظرية الوجود ونظرية المعرفة ومواظيع أخرى كالقيم والجمال والميتافيزيقا،

من الذين عنو بالتفسير المثالي للتاريخ الفيلسوف الألماني هيقل وهناك فلاسفة ألمان مثل إيمانويل كانت (1804) .

للتفسير المثالي للتاريخ عند الفرنسيين صورتان

1 _ تمثله نظرية العناية الالهية التي صاغها الفكر الديني على يد أوغسطين وهي تفسر حركة التاريخ تفسيرا لا يخرج عن تفصيلاته وجزئياته عن الإرادة الالهية بمعزل عن أية إرادة إنسانية.

2 _ ترتبط بالفلسفة المثالية وإنعكاساتها على التاريخ متمثلة بصورة رئيسية بفلسفة التاريخ عند هيقل.